الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(218)**

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: أعقَب اللهُ عزَّ وجلَّ الإنذارَ بالبشارة، ونزَّه المؤمنين من احتمال ارتدادِهم؛ فإنَّ المهاجرين لم يرتدَّ منهم أحدٌ. ابن عاشور

سبب النُّزول: عن جُندُبِ بن عبد الله رضي الله عنه: ((أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ بعث رهطًا، وبعَث عليهم عبدَ الله بن جحش، فلقُوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يَدرُوا أنَّ ذلك اليوم من رجب، أو من جُمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتُم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ. الآية، فقال بعضُهم: إنْ لم يكونوا أصابوا وزرًا فليس لهم أجْر، فأنزل الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) الدرر السنية

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

أي: إنَّ الذين صدَّقوا وأقرُّوا بالحقِّ منقادينَ إليه، والذين انتقَلوا من موضعٍ إلى آخَرَ فرارًا من مخالطة المشركين ومساكنتِهم، وربَّما فارَقوا بذلك عشائرهم وأوطانهم؛ حفاظًا على دِينهم، والذين بذلوا جهدَهم في مقاتلة الأعداء نصرًا لدين الله تعالى، وإعلاءً لكلمته، فهؤلاء- ذَوُو الطبقة العالية الرفيعة- لائقون وجديرون حقًّا بأن يطمعوا في نَيل رحمة الله تعالى لهم، وأنْ يُدخِلَهم دار كرامته، وسيَحظَون بما أمَّلوا وطمِعوا فيه؛ ذلك أنَّ الله تعالى غفورٌ رحيم؛ فبمغفرته ستَر ذنوبهم وتجاوز عنها، وأذهب آثارها وعقوباتها في الدنيا والآخرة، وبرحمته وفَّقهم لتلك الأعمال الجليلة، ويمنحهم في الدَّارين الخيراتِ والمراتبَ النَّبيلة. موسوعة التفسير

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا) أي: الذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه.

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) أي: تركوا ديارهم وهاجروا إلى الله ورسوله، **قال ابن عاشور**: هم الذين خرجوا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم.

(وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لإعلاء كلمة الله تعالى.

⇦والجهاد: بذل الوسع في قتال الكفار.

(أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) أي: أولئك يطمعون في فضل الله وثوابه.

قال ابن عاشور: الرجاء: ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله، فإن وعد الله وإن كان لا يخلف فضلاً منه وصدقاً، ولكن الخواتم مجهولة ومصادفة العمل لمراد الله قد تفوت لموانع لا يدريها المكلف ولئلا يتكلوا في الاعتماد على العمل.

قال السعدي: وفي قوله (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ) إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا

ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

هذه الأعمال الثلاثة (الإيمان والهجرة والجهاد) من أفضل الأعمال.

❶**الأول الإيمان**: الذين صدَّقوا وأقرُّوا بالحقِّ منقادينَ إليه.

❷**وأما الهجرة**: فهي مفارقة المحبوب المألوف، لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخلانه، تقرباً إلى الله ونصرة لدينه.

ونذكر مثال واحد من هؤلاء الفرسان الذين فارقوا كل شيء لأجل الدين، نذكر الصحابي الجليل صهيب الرومي عندما قال صهيب وعدتني يا رسول الله أن تصاحبني فانطلقت وتركتني فأخذتني قريش فحبسوني فاشتريت نفسي وأهلي بمالي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع»، وهنا نزلت فيه آية من القرآن الكريم وهي قول الله سبحانه تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)، «سورة البقرة». تهذيب الطبقات

مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْهِجْرَةِ: هَجْرُ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ: لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِجْرَةِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ؛ فَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: ((وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ)) فكل من هجر المعاصي تقربا لله ونصرة للدين فهو يصدق عليه أنه مهاجر.

ومِنْ ذَلِكَ: هَجْرُ أَمَاكِنِ الْمَعَاصِي؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68].

ومِنْ ذَلِكَ: العبادة والثبات في زمن الفتن: فإذا وَقعتِ الفِتنُ فإنَّ المرءَ يَفِرُّ بِدينِه مِنَ الفِتَنِ إلى العِبادةِ، ويَهجُرُ أُولئكَ الأَقوامُ في تلكَ الحالةِ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (الْعِبادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إلَيَّ) صحيح مسلم

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه (قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِكْ عليْكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ) صحيح الترميذي

لِيَكُنْ في بيتِك سَعَتُك والْزَمْ بيتَك لِتَعبُدَ اللهَ في الخَلَواتِ، واشتَغِلْ بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، واعتَزِلْ في بَيتِك عن الفِتَنِ. الدرر السنية

ومِنْ ذَلِكَ: هَجْرُ الْبِدَعِ إِلَى السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ:

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} [النساء: 80].

وَقَالَ تَعَالَى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65].

❸**وأما الجهاد:** فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله، وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، وجزاؤه أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر، لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

⇦**والجهاد يكون بالسيف، وبالقرآن وهو أعلاهما:** ف رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ وَالْهُدَى ثلاثة عشر عام، ثم بعد ذلك فَتَحُوا بِلَادَ الْكُفْرِ بالسيفِ، فأساس الجهاد الكلمة الطيبة لا السيف، بل شرع السيف للدفاع عن الدين لمن أعتدى وبغى، وصد عن سبيل الله.

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ)

قال السعدي: فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي، ونحو ذلك.

⇦**الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، فالمؤمن يعمل ويجتهد ويثابر ويخاف ألا يتقبل منه.**

ولذلك لما نزلت قول الله تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) قالت عائشةُ: أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ قالَ لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ، وَهُم يخافونَ أن لا تُقبَلَ منهُم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) صحيح الترميذي

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وحسنه الألباني في "الصحيحة"

قال الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ–قَالَ: ((مَا أَمِنَ الله إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا خَافَه إِلَّا مُؤْمِنٌ)).

في الآية فضل الايمان، وفضائله كثيرة نذكر:

❶ : **الْأَجْرُ الْعَظِيمُ** (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (146) النساء.

❷ : **الدَّفْعُ عَنْهُمْ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.**

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)38الحج.

❸ : **اسْـــتِغْفَارُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ لَهُمْ.** قال تعالى (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَـــبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)7غافر.

❹ : **مُوَالَاةُ اللَّهِ لَهُمْ، وَلَا يَذِلُّ مَنْ وَالَاهُ اللَّهُ.** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا).

❺ : **أَمْرُهُ مَلَائِكَتَهُ بِتَثْبِيتِهِمْ.** قال تعالى (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)12الأنفال.

❻ : **الْعِزَّةُ**. قال تعالى (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8) المنافقون.

❼ : **مَعِيَّةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ**. قال تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ).

❽ : **الرِّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**. قال تعالى (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ).

❾ : **أَمَانُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ يَوْمَ يَشْتَدُّ الْخَوْفُ**. قال تعالى (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

❿ : **أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا هُوَ هُدًى لَهُمْ وَشِفَاء**. قال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)44فصلت.

✉وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْإِيمَانَ سَبَبٌ جَالِبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ الْإِيمَانُ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ.

📃**في الآية فضل الهجرة لله تعالى:**

❶ : **أن الله يعوضه خيراً مما ترك**. قال تعالى (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً) مريم 48-49-50

❷**ومن فضائلها: يجد مراغماً وسعة**. قال تعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً)100النساء

⇦ففي هذه الآية وعد الله تعالى أن من هاجر في سبيله سيجد أمرين: أولهما: مراغماً كثيراً، وثانيهما: سعة

والمراد بالأمر الأول كما يقول الرازي: (مُرَاغَماً) ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلدته الأصلية.

والمراد بالأمر الثاني (وَسَعَةً) السعة في الرزق.

⇦فلا يتوهم من هجر شيء لله أن يضيق عليه رزقه، قَسَمَهُ الله لكل مخلوقٍ سبق به القضاء ولو ضاق الفضاء:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[العنكبوت: 60] وقال تعالى:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود: 6]، فالله يتولاَّها لحظةً بلحظةٍ تنفيذًا للمقسومِ في سابقِ التقديرِ.

✉وفي هذه الآية أن هؤلاء جمعوا بين فعل السبب بحسن العمل بالإيمان والهجرة والجهاد وبين حسن الظن بالله تعالى.

📃**قال ابن القيم:** فتأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات، وقال المغترون: إن المفرطين المضيعين

لحقوق الله المعطلين لأوامره الباغين على عباده المتجرئين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله.

✉**قال ابن القيم** وسر المسألة: أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعرضها للحبوط ويبطل أثرها.

(وَاللَّهُ غَفُورٌ) أي: لمن تاب توبة نصوحاً.

✉**لماذا يذكر اسم الله الغفور بعد هذه العبادات العظيمة الايمان والهجرة والجهاد؟**

☜قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي رحمه الله في تفسيره (وهكذا ينبغي للعبد كلَّما فرغ من عبادة أن يستغفرَ الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمَن يرى أنَّه قد أكملَ العبادةَ ومنَّ بها على ربِّه، وجعلت له محلاً ومنزلةً رفيعة، فهذا حقيق بالمقت ورد العمل كما أنَّ الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخر). اهـ.

(رَحِيمٌ) وسعت رحمته كل شيء، وعم جوده وإحسانه كل حي.

📠**قال السعدي**: وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات وحصلت له رحمة الله.

📠**قال السعدي**: وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة، التي هي آثار الذنوب، التي قد غفرت واضمحلت آثارها، وإذا حصلت له الرحمة، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛ بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم، فلولا توفيقه إياهم لم يريدوها، ولولا إقدارهم عليها، لم يقدروا عليها، ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولاً وآخراً، وهو الذي منّ بالسبب والمسبب.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (220)

📠**حِرصُ الصحابة رضي الله عنهم على السُّؤال عن العِلم؛ وقد وقع سؤالهم لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ في القرآن أكثرَ من اثنتي عشرة مرة.ابن عثيمين رحمه الله**

سبب النُّزول: وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا" (البقرة 219). ولما قرئت عليه هذه الآية، فقال: "اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً"، (يقصد حكماً واضحاً جازماً، إما بالتحليل وإما بالتحريم)، فنزل قوله تعالى: "يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَقرَبوا الصَلاةَ وَأَنتُم سُكارى" (النساء 43)، ولما قرئت عليه فقال: "اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً"، فنزلت هذه الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ

وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ..." (المائدة 90)، فدُعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ القارئ: "فَهَل أَنتُم مُّنتَهونَ"؟ قال عمر: انتهينا". رواه الترمذي وأحمد وغيرهم.

كان العرب في الجاهلية تغمرهم ضلالة عمياء، فانقشعت ببعثة النبي ﷺ وما أتى به من الهدى والحق؛ فدخل الصحابة في دين الله، وتأثَّروا بكلام الله؛ فزالت عنهم أوصاف الجاهلية من الصلف والغلظة وقسوة القلوب.

فعالج القرآن نفوسهم، وعدل إعوجاج سلوكم، يتسابقون في السؤال عن الحلال والحرام، ويلتزمون شرع الله في أقوالهم، وأفعالهم، فلم تعد تتحكم بهم شهواتهم، أخضعوها لأمر الله، وألزموها حكم الله، فلنا بهم آسوة حسنة.

وهم ممن اثنى عليهم الله في كتابه قال تعالى (فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) الزمر

هؤلاء الذين هدى الله قلوبهم لتقوى، يسألون ليعملون، لا للمراء ولا للجدال والمراوغة، فوفقهم الله لإصابة الحق، ومكن لهم في الدين، وكانوا أهله وهم أحق من يقتدى ويهتدى به.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) أي: يسألك المؤمنون يا محمَّد، عن حُكم الخمر–وهي: كلُّ شرابٍ مسكِر يُغطِّي عقل صاحبه–وعن حُكم القِمار. موسوعة التفسير

(يَسْأَلونَكَ) الخطاب للنبي ε ، والسائلون هم الصحابة رضي الله عنهم.

السائلون هم المؤمنون وسؤالهم إنما هو عن الحكم الشرعي من حيث الحل والتحريم. اللهيميد

وكان هذا حالهم مع أم الخبائث، التي أُشْرِبَت قلوبهم حبَّها، وكانت النفوس متعلِّقةٌ بها، ومع ذلك سألوا عن حكمها، يريدون رضوان الله، ونيل محبة الله، لا يأبهون برضى أنفسهم وأهوائهم.

(يَسْأَلونَكَ) (عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) أي: عن حكمهما.

(قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) أي: قلْ لهم يا محمَّد، بأنَّ في شُرب المسكرات وتعاطِي القِمار إثمًا كبيرًا؛ إذ يُحدِثان عداوةً وبغضاءَ وصدًّا عن ذِكر الله تعالى وعن الصَّلاة، وغير ذلك من آثامٍ ومنكرات، هي أعظم ممَّا يتأتَّى منهما من منافع قد تحصُل في النفس والبدن والمال، كالذي تُحدِثه الخمر لشاربها من طربٍ ولذَّةٍ ونشوةٍ، وتشحيذٍ للذِّهن وغير ذلك، وما يأتي به القمار لصاحبه من مكاسبَ وأموال، ولذَّةٍ في اللعب والمغالبة، وقد ذكر الله تعالى آثامهما قبل منافعهما؛ ليقع في نفس المؤمن الاشمئزاز منهما أوَّلًا. موسوعة التفسير

(قُلْ) أي: قل لهم محمد.

(فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) أي: ذنب عظيم في الدين، وكبيرة من كبائر الذنوب يستوجب العقوبة الشديدة، لأنهما رجس من عمل الشيطان يسبب العداوة والبغضاء. سليمان اللهيميد

تَنكير المسند (إثم)؛ وذلك للإيذان بفَداحته وخُطورته، ووصفُه بلفظة (كبير) بيان آخَر لفداحته وخطره.دليل

و الْخَمْرِ: لغة مأخوذ من الستر والتغطية ومنه قوله ε :(إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ،.الى أن قال ... وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ) أي: غطوا آنيتكم .

وفي الشرع: اسم لكل ما أسكر العقل، أي: خامره وستره وغطاه على سبيل اللذة والنشوة والطرب، قال ε (كل مسكر خمر).

وقدم الخمر على الميسر، لأنه أكثر انتشاراً، وأعم ضرراً، ولأنه يذهب العقل مع المال، فالخمر فيه إزالة العقل الذي هو من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان وميزه به.

ما حكم شرب الخمر؟ بالإجماع حرام: وهو من كبائر الذنوب، وقد دلَّ على تحريمه الكتاب، والسنَّة، والإجماع، ولا خلاف بين العلماء في تحريمه.

وللخمر مفاسد على الدين، والبدن، والعقل، والمال، والعرض.

ويؤكد لنا عثمان رضي الله عنه على خطر الخمر على الدين بقصة قصها علينا فذكر أنه كان رجل ممن كان قبلنا صار عابدا فعشقته امرأة، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشّهادةِ فانطلق مع جاريتها فلما دخل بيتها أغلقت الأبواب ووجد نفسه مع امرأة جميلة عندها غلام وإناء خمر، فقالت إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب من هذه الخمرة كأسا أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمرِ كأسا، فسقته كأسا، قال: زِيدُونِي فلم يترك المكان حتى وقع عليها، وقتل النفس) رواها النسائي بتصرف

ولذا فإن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم حرّموا شربها على أنفسهم في الجاهلية:

ومنهم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، قالت عائشة رضي الله عنها: " حرَّم أبو بكر الخمرة على نفسه، فلم يشربها في جاهلية، ولا إسلام، وذلك أنه مرَّ برجل سكران يضع يده في العذرة ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صرف عنها، فقال أبو بكر: إن هذا لا يدري ما يصنع ".

ومنهم: عثمان بن مظعون رضي الله عنه، حيث روي عنه قوله: " لا أشرب شراباً يذهب عقلي، ويضحك بي مَن هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد ".

منهم: قيس بن عاصم رضي الله عنه، حيث روي عنه قوله – في سبب تحريم شرب الخمر على نفسه –: "لأني رأيته متلفة للمال، داعية إلى شرّ المقال، مذهبة بمروءات الرجال ".

وتحريم الخمر كان على مراحل:

صاحب الكشاف وتبعه بعض العلماء، فقد قال: نزلت في الخمر أربع آيات، نزل بمكة قوله تعالى: (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً) فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم.

ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال،

فنزلت: (قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ) فشربها قوم وتركها آخرون.

ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام بعضهم يصلّى فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت: لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا شعرا فيه هجاء للأنصار فضرب أحد الأنصار سعدا بلحى بعير فشجه، فشكا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك. فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ..." (المائدة 90)» ...فقال عمر: انتهينا يا رب».

وهذه الآية نزلت تمهيداً وتعريضاً بتحريم الخمر، فإن الخمر نزل على مراحل حتى حرم بتاتاً:

❶ نزلت"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا" (البقرة 219). ففي هذه الآية التعريض بتحريمها، فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه حيث إن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئاً إثمه أكبر من نفعه.

❷ ثم نزلت ("يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَقرَبوا الصَلاةَ وَأَنتُم سُكارى" (النساء 43).

فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض الأوقات وهي أوقات الصلوات.

❸ثم نزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ..." (المائدة 90)

وهذا من حكم نزول القرآن مفرقاً، فمن هذه الحكم:

أولاً: تثبيت قلب النبي ε .

لقوله تعالى :(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) الفرقان

ثانياً: أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به، حيث يقرأ عليهم شيئا فشيئاً.

لقوله تعالى (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106) الإسراء.

ثالثاً: تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القران وتنفيذه، حيث يتشوق الناس بلهف وشوق إلى نزول الآية، لا سيما عند اشتداد الحاجة إليها كما في آيات الإفك واللعان.

رابعاً: التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال، كما في آيات الخمر الذي نشأ الناس عليه، ألفوه، وكان من الصعب عليهم أن يجابهوا بالمنع منه منعا باتاً.

والميسر: مأخوذ من اليسر وهو القمار، وكسب المال على وجه المخاطرة والمراهنة والمغالبة التي يكون فيها عوض من الطرفين، ويكون الطرفان فيها بين غانم وغارم.

قال السعدي: وأما الميسر: فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين، من النرد، والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية، بعوض سوى مسابقة الخيل، والإبل، والسهام، فإنها مباحة، لكونها

معينة على الجهاد، فلهذا رخص فيها الشارع.

✉يجب الحذر من النرد الذي ورد فيه التحريم: عن بريدة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ). رواه مسلم

✍وهناك أثر عن عليٍّ رضي الله عنه: أنّه مرّ بقوم يلعبون بالشّطرنج فقال: ما هذه التّماثيل الّتي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمسّ جمرًا حتّى يطفى خير من أن يمسّها.

📜قال القرطبي رحمه الله:" هذه الآية تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج، قمارا أو غير قمار " انتهى من "الجامع لأحكام القرآن" (6 /291).

📜وأما القول بتحريم الشطرنج: فهو قول جمهور العلماء، وممّن قال بالتّحريم: علي بن أبي طالبٍ وابن عمر وابن عبّاسٍ رضي الله عنهم وسعيد بن المسيّب...وغيرهم من السلف

✍هم استدلوا بالقياس على النّرد، بل قالوا: إنّ الشّطرنج شر من النّرد في الصّدّ عن ذكر الله وعن الصّلاة وهو أكثر إيقاعًا للعداوة والبغضاء، لأنّ لاعبها يحتاج إلى إعمال فكره وشغل خاطره أكثر من النّرد، ولأنّ فيهما صرف العمر إلى ما لا يجدي، إلا أنّ النّرد آكد في التّحريم لورود النّصّ بتحريمه ولانعقاد الإجماع على حرمته مطلقًا.

✍وعند الشافعية الشطرنج فهي مكروهة: قال الشافعي :(إنه لهو شَبَهُ الباطل أكرهه ولا يتبين لي تحريمه). نقل ذلك ابن القيم في إعلام الموقعين 35/1

✉لكن إذا اشتمل اللعب أين كان على ترك واجب، أو فعل محرم، وذلك كترك الصلاة، وترك بر الوالدين، وارتكاب الكذب، واليمين الفاجرة، وهذه الصورة يقول عنها شيخ الإسلام: " فإنها تكون حراماً باتفاق العلماء"

✉فحرم الله الميسر: فلما فيه من المقامرة والمخاطرة، وأكل أموال الناس بالباطل، وتعريض النفس للإضرابات النفسية.

(وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) أي: وفيهما منافع للناس دنيوية فقط.

✍**فالمنافع في الخمر**: ما فيها من اللذة والنشوة والطرب، وكذا ما فيها من منافع ثمنها والاتجار بها.

✍**وأما منافع الميسر**: فهي ما فيها من الترويح عن النفس، والكسب لمن حالفه الحظ في هذه المقامرة، وكون المال يجلب لبعضهم من غير تعب.

📜**قال ابن كثير**: أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية، من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضيم الطعام، وإخراجَ الفضلات، وتشحيذ بعض الأذهان، ولذّة الشدّة المطربة التي فيها، ولكن مهما كانت المصالح فهي لا توازي مضرّته ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين.

ولهذا قال:(وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) فإثمهما كبير وكثير، لا تساويه تلك المنافع، وذلك لأن إثمهما

وضررهما في الدين، ومنافعهما في الدنيا فقط، ومنافع الدنيا كلها لا تساوي شيئاً بالنسبة للدين.

✉وننظر فيما ورد من وعيد شديد لشارب الخمر حتى نعلم خطورة هذه الكبائر:

أولا: حلول اللعنة

من الوعيد الوارد في حق شارب الخمر وكل من كان له بها علاقة حلول اللعنة، وحقيقة اللعنة الطرد من رحمة الله، قال أنس :(لعن رسولُ اللهِ في الخمر عشرةً : عاصرَها ، ومعتصرَها، وشاربَها ، وحاملَها ، والمحمولةَ إليه ، وساقيها ، وبائعَها ، وآكلَ ثمنِها ، والمشتريَ لها ، والمشترى له) صحيح الترغيب

قوله ε (لَعَنَ اللهُ الخمرَ وشارِبَها، وساقِيَها ، ومُبْتَاعَها ، وبائِعَها، وعَاصِرَها ، ومُعْتَصِرَها ، وحامِلَها ، والمِحْمُولَةَ إليهِ) صحيح الترغيب

ثانيا: سلب الإيمان

وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عن شارب الخمر حين يشربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ)متفق عليه

وقال عثمان رضي الله عنه :فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمرِ إلَّا ليوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه).

ثالثا: تمثليه بعبادة الأصنام

ومثل النبي صلى الله عليه وسلم المدمن على الخمر الذي لم يتب بعابد الأصنام فقال :(مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ) رواه ابن ماجة وحسنه الألباني

وكان أبو مُوسَى رضي الله عنه يقول: «ما أبالي شربت الخمر أو عبدت هذه السَّارية من دون الله عز وجل)النسائي

📑أما عقوبة شارب الخمر في الدنيا:

❶: الجلد والإهانة في الدنيا

ولشرب الخمر عقوبة تعزيرية في الدنيا كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جلدا وإهانة، وحدَّها أبو بكر بأربعين جلدة، فعن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم (ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ)متفق عليه

ولما زاد شرب الخمر في عهد عمر رضي الله عنه جلد فيه ثمانين جلدة.

❷: الخسف والمسخ في الدنيا

وإذا جاهر الناس بذلك وأعلنوا به ظهرت العقوبات الربانية (كالخسف) قلب الأرض عليهم) (والمسخ)تحويل صورهم إلى قردة وخنازير ،هذا فضلا عن الأمراض الفتاكة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :(ليشربنَّ ناس من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها يُعزف على رُؤوسهم بالمعازف

والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير) «البخاري وابن ماجة واللفظ له

عقوبة شارب الخمر في الآخرة:

❶ عدم قبول الصلاة أربعين يوما.

وجاء في أحاديث الوعيد عدم قبول صلاة شاربها أي لا ينال شيئا من ثوابها ومنها حديث :(لَا يشرب الخمر رجل مِنْ أُمَّتِي فَيُقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا)النسائي وابن ماجة

❷ السقي من نهر الخبال

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق من تكرر منه شرب الخمر مرارا أنه يسقى من نهر الخبال في جهنم

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ ، لَمْ يَتُبِ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الخَبَالِ) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في " صحيح سنن الترمذي " .

نَهْرِ الخَبَالِ: وهو نهر من صديد (قيح ودم أهل النار) وهذه عقوبة خاصة يتوعد بها من لم يتب من شرب الخمر حتى مات.

❸: الحرمان من الجنة

ومن الوعيد فيها الوارد الحرمان من دخول الجنة (ابتداء) لان هناك دخول أولي ودخول مآلي، فهذا يكون دخوله مآلي بعدما يطهر، قال صلى الله عليه وسلم (ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى) النسائي وصححه الألباني

❹: الحرمان من خمر الجنة

ومن عقوبات الآخرة أن من لم يتب منها يحرم من خمر الجنة، وهي خمر لا آفة فيها يجازي بها الله تعالى عباده الذي أطاعوه فتركوا خمر الدنيا وصبروا عليها.

قَالَ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ) متفق عليه

والعاقل إذا عرف أن ضرر الشيء أكثر من نفعه فإنه يبتعد عنه.

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) أي: يسألك المؤمنون يا محمَّد: أيَّ شيء يُنفقون من أموالهم، فيتصدَّقون به؟ فأجبْهم بأنَّ مَن أراد منهم أن يُنفِق في سبيل الله تعالى، فليتصدَّق ممَّا زاد عن حاجاته

الضروريَّة. موسوعة التفسير

(وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) أي: ويسألك أصحابك يا محمد ما الذي ينفقون.

(قُلِ الْعَفْوَ) أي: الفضل، وما لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع.

عن ابن عباس: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال: ما يفضل عن أهلك.

والمعنى: أنفقوا ما يفضل عن حاجتكم ولا يشق عليكم.

قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ) وقد رواه مسلم في صحيحه

عن أبي هريرة. قال: قال ε (أفضلُ الصَّدقةِ ما كان عن ظهرِ غنًى ، واليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلَى ، وابدأْ مَنَ تعولُ)صحيح النسائي

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (219)

أي: كما فصَّل الله تعالى هذه الأحكامَ كحُكم الخمر وغيره، وأوضحها غايةَ الإيضاح، فكذلك يُوضِّح الله جلَّ وعلا لنا بمِثل ذلك البيان سائر آياته وأحكامه الشرعيَّة؛ كي نتفكَّر من خلالها فيما شرَعه الله تعالى من أحكام تتعلَّق بشؤون الدارين، ولأجْل أن يقودَنا ما جاء فيها من وعدٍ ووعيد وثوابٍ وعقاب، إلى التفكُّر في الدنيا وسرعة انقضائها، وفي إقبال الآخِرة وبقائها، فنزهَد في الأولى، ونُعمِّر الثانية؛ عملًا بطاعة الله تعالى، وتركًا لشهوات يسيرة فانية. موسوعة التفسير

قال سليمان اللهيميد في قوله: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) أي: مثل ذلك البيان والإيضاح والتفصيل لحكم الخمر والميسر وبيان قدر المنفَق.

(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) أي : يوضح لكم الآيات ويفصلها في سائر الأحكام كما قال تعالى (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وقال تعالى (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) .

(لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (لعل) للتعليل، أي: لأجل أن تتفكروا، والتفكر: إعمال الفكر والعقل، والتأمل والنظر والتدبر.

(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أي: لعلكم تتفكرون فيما هو أنفع لكم في الدنيا والآخرة من البعد عن الخمر والميسر، ومن إنفاق العفو، وتتفكرون في الدنيا وأنها دار ابتلاء وعمل، دار حقيرة، نهايتها الزوال والفناء، وتتفكرون في الآخرة وقربها، وعظم مكانتها، وأنها دار ثواب وجزاء، وخلود وبقاء (وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (64) العنكبوت.

وقال تعالى (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (26) الرعد.

أمر الله عباده في التفكُّر والتدبُّر في أمر الدنيا والآخرة معا ؛ لأن التفكُّر في الدنيا وحدها لا يُعطي

العقل البشري صورةً كاملةً عن حقيقة الحياة ،فالدنيا شطر الحياة الأدنى والأقصر، والآخرة هي شطر الحياة الآخرة الأبدية؛ ولذلك فإن بناء الشعور والسلوك على حساب الشطر القصير لا ينتهي أبدًا إلى سلوك صحيح، فيشرب الخمر ويلهو بالميسر ،وكأنها باقية خالدة ،ويشح بالإنفاق في وجوه الخير ،لان تصرفاتنا فرع عن تصوراتنا ،ولكن ربط تصوراتنا بحقيقة الآخرة، وما فيها من جزاء، يجعل العبد منقاد لا يضيع الحياة الخالدة لأجل دنيا فانية ،فهذا يعينيه على فعل الأوامر وترك النواهي .

في هذا القول :﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ *فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾البقرة: 220،219

يدعونا الله عز وجل إلى أن يكون تفكيرنا تفكيرًا كليًّا يربط بين حياة الدنيا والآخرة:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾(البقرة: 219)﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾(البقرة: 219)

ويتبعه تساؤلات:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾(البقرة: 220)﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾(البقرة: 222)

وكل هذه التساؤلات كانت تشغل تفكير المؤمنين، وموضوعاتها ترتبط بالحياة الدنيا، وهكذا المؤمن الصادق لا يخطو خطوة حتى يسأل عن رضا الله فيها، فالمؤمن دائمًا أن يمتدَّ تفكيرُه في كل ما يفعله في الدنيا إلى ما سيلقاه نتيجة هذا الفعل في الآخرة، فتكون إحدى عينيه ناظرةً إلى فعله في الدنيا وعينه الأخرى ناظرة إلى عطاء الله له في الآخرة.